

أنت في عواصم الأناقة

وجوه فلورنسا وأخواتها
مدن تصنع جمالها من إلهام عشاقها



● فكرة أن تكون سائحا تدفع بك أحيانا إلى ارتكاب حماقات من نوع التصوير من أجل الذكرى. فمن أجل أن تؤكد أنك كنت في إيطاليا تذهب إلى المدرج الروماني والفاتيكان من أجل التقاط الصور ليس إلا.

● المدينة لا تزال كما كانت. مبانيها ودروبها وساحاتها وكنائسها وتمثالها وأعمدتها والحجارة التي كسيت بها دروبها الضيقة. غير أنها ليست قديمة بما تحده من تأثير بصري وهي ليست ركاما أثريا بل هي مدينة للعيش.

فمن أجل أن تؤكد أنك كنت في روما تذهب إلى المدرج الروماني والفاتيكان من أجل التقاط الصور ليس إلا. كذلك الأمر بالنسبة للـ"دوم" في فلورنسا. هناك تجد نفسك محشورا بين الألاف من المسافرين العابرين وعليك أن تتحمل الإنصات إلى جمل لا معنى لها "من أين أنت؟" "هل تتكلم الإنجليزية؟" "سأكون مفيدا لك لساعتين" "هل ترغب في شراء تذكرة؟" وسواها من الجمل التي يرددها شباب كما لو أنها ليست موجّهة لأحد بعينه. لقد صرت هدفا لعمل عيني بعد أن قررت أن تضع وقتا لمينا من أجل أن تلتقط صورة.

سنددم لأن ذلك النوع المتاح من الصور لن ينفع في شيء. لا يحتاج المرء إلى صور من ذلك النوع السياحي من أجل أن يؤكد أنه أقام لإيام في روما أو فلورنسا. فالمدن تترك آثارا عميقا في النفس من خلال المشي في شوارعها والعبور على جسورها والجلوس في مطاعمها. يكفي أن تتذكر الطعام الإيطالي الذي قد لا يحبه الكثيرون منا لتعرف أنك كنت هناك.

هناك أشياء خفية كثيرة تأسرك عاطفيا وتجعلك لا تنسى. هذه مدن بُنيت لكي تكون مؤهلة لاستقبال كل العصور ولاحتضان البشر من كل جهات الأرض. إنها عواصم لإمبراطوريات حاملة. ليس علينا أن نذكر دائما بالإسكندر المقدوني الذي حلم ببابل عاصمة له ومات شابا قريبا منها؟ هناك يحضر الرومان دائما. لا يعني في شيء أن عصر النهضة كان مسيحيا. ولا تحضر القرون الوسطى إلا من خلال مبانيها المتجهمّة. أما عصر الباروك فإنه لا يزال حيا. الموسيقى الأعمى كان باروكيا فقد كان يعزف باناقة مقطوعات من باخ. سيئال لك دائما "هذه من صنع برنيني".

لا بأس. كل العصور العظيمة موجودة من أجلك وعليك أن تعيش المحظوظ الوحيد في الكون. أنت في عاصمة الأناقة.

عصر الباروك لا يزال حيا في إيطاليا. الموسيقى الأعمى كان باروكيا فقد كان يعزف باناقة مقطوعات من باخ. سيئال لك دائما «هذه من صنع برنيني»

بصري وهي ليست ركاما أثريا بل هي مدينة للعيش. لقد تصالحت العصور المتلاحقة، بعضها مع البعض لآخر لتخلق مدينة تتعايش فيها المجتمعات المتقابلة كما طبقات الأصباغ على اللوحة الواحدة. فلو عاد ليوناردو دافنشي لما شعر بالغرابة وهو يتنقل بين مخازن فرساتشي وبرادو وكوتشي وفندي وشانيل. فلورنسا التي انبعت فيها عصر النهضة الأوروبي لم تكن إلا وعدا بولادة العصر الحديث.

فكرة أن تكون سائحا تدفع بك أحيانا إلى ارتكاب حماقات من نوع التصوير من أجل الذكرى.

سأحسى الدقائق التي أمضيها على الجسر العتيق من أجل أن أتحرر من دانتي وحبوبته وأفكر في أصحاب الدكاكين والبوت التي بنيت على الجسر. ما الذي دفع بهم على أن يقضوا حياتهم على الجسر. يعملون ويعيشون محلقيين بين ضفتي النهر، هناك حيث ينظر إليهم بقية السكان كم لو أنهم يتدثرون برقية سحرية تحفظ المدينة من غضب النهر.

فلورنسا وصرت أمر بجسرها العتيق الذي لا اعتقد أن هناك جسرا يشبهه في العالم صرت أفكر في بياتريس، حبيبة دانتي التي ماتت صغيرة والتي كانت تسكن قريبا من ذلك الجسر. "جارتى بياتريس" لقد جئت إلى فلورنسا من أجل بياتريس.

لم أكن راغبا في زيارة متحف المدينة لولا أنه يضم لوحتي "الربيع" و"فينوس" لبوتشيلي. كان ذلك حلما شخصيا. كنت أشعر بالنقص لأنني لم أر اللوحتين. رأيت "الربيع" أولا فانتابني رغبة في البكاء.

قررت أن أقف بعيدا عنها. صرت بعدها أقرب منها شيئا فشيئا. تلك نعمة ينبغي الاستغراق فيها تدريجيا كما الغرق. ليتني أتلم درس الغرق على يد بوتشيلي. لم أكن غريبا عليه. وكنت أود لو قُبلت كل جزء من لوحته. يفحص الحسب من كل جزء من تلك اللوحة وأختها. لقد كدت أصرخ "أصدك. إنه الربيع" ولكنني أجلت جنوني إلى الشوارع. ساقع في غرام بياتريس مرة أخرى. أعود إلى التفكير بصاحب الكوميديا الإلهية الذي وقع في الحب مثلي. ذلك الرجل الذي حرم من أنثاه فيما تظل عيني مصوبة إلى أنثاه.

سأحسى الدقائق التي أمضيها على الجسر العتيق من أجل أن أتحرر من دانتي وحبوبته وأفكر في أصحاب الدكاكين والبوت التي بنيت على الجسر. ما الذي دفع بهم على أن يقضوا حياتهم على الجسر. يعملون ويعيشون محلقيين بين ضفتي النهر، هناك حيث ينظر إليهم بقية السكان كم لو أنهم يتدثرون برقية سحرية تحفظ المدينة من غضب النهر.

سأحسى الدقائق التي أمضيها على الجسر العتيق من أجل أن أتحرر من دانتي وحبوبته وأفكر في أصحاب الدكاكين والبوت التي بنيت على الجسر. ما الذي دفع بهم على أن يقضوا حياتهم على الجسر. يعملون ويعيشون محلقيين بين ضفتي النهر، هناك حيث ينظر إليهم بقية السكان كم لو أنهم يتدثرون برقية سحرية تحفظ المدينة من غضب النهر.

طبقات من العيش المختلف

لا تزال جسور روما العتيقة تنتشر بالرقى. وهي بالرغم من قدمها تبدو للناظر خفيفة بالتمائيل التي تقف على أسسها لتروي حكايات، لن يكون المرة معنيين بتفاصيلها. فهي غالبا ما تكون حكايات دينية. هل جئت لترى القلعة القريبة من الفاتيكان أم لتسمع أصوات فرسان مالطا أم لتشم روائح الثياب الملقاة على الحبال أم لتلمس الحجارة التي تجرح؟ في فلورنسا تبدو العلاقة أشد تعقيدا. فعاصمة عصر النهضة لا تزال كما كانت عليه.

قبل قرون. يمكنك أن تتخيل أن أفرادا من عائلة ميديشي ما زالوا يسيطرون سيطرتهم على أجزاء من المدينة. المدينة لا تزال كما كانت. مبانيها ودروبها وساحاتها وكنائسها وتمثالها وأعمدتها والحجارة التي كسيت بها دروبها الضيقة. غير أنها ليست قديمة بما تحده من تأثير

وبوليوجيو جيئة ونهايا لتتصت إلى مقطوعة موسيقية حية يعزفها بروج فنان متمرس على التسلسل إلى أعماق الإلهام الموسيقي. ربما كان ذلك الموسيقي مدخلا إلى أناقة المدينة. كل ما في هذه المدينة العتيقة أنيق بشكل لافت. هل صار السكن فيها محتكرا من قبل الأثرياء وحدهم؟

خطا لزيارة مقبلة

في روما ما من شيء يذكر بالسياحة الفقيرة التي كانت نهبها مقدسا بالنسبة للشباب المتمرد قبل عقود. كل خطوة يلقيها المرء على أرضه هذه المدينة لا بد أن تكون مدفوعة الثمن. عليك إذا حين تعود مرة أخرى أن تكون مستعدا على الأقل لتتحتل دور صديق ثري.

ولكن المدينة نفسها لن تكون هدفا للزيارة المقبلة. سافتح قوسين لأجد أخطاء ثقافية وهي أخطاء ثقافية سيكون علي في الزيارة المقبلة إن وقعت استدراكها.

كان امتنع عن دخول أي كنيسة حتى لو كانت تلك الكنيسة تضم بين مقتنياتها لوحة لروفاثيل. علي إذا أن أوجه أمنيته إلى الجهة التي لم أصل إليها من روما. ذلك الجزء الذي اخترق القرن العشرين بحدائقه ووضع دور الأزياء الإيطالية في المقدمة دائما. ذلك ما حرص الإيطاليون على العناية به. فانت لا ترى إلا عددا قليلا من المخازن التجارية التي تروج ملابس أجنبية.

قالت لبنى المان "عليك أن تلتقط صورة مع بيت دانتي اليجيري" كنت أفكر في عنوان للصورة "جاري دانتي". كان بيته يقع قريبا من الفندق الذي أقمته فيه. أما حين ذهبت إلى

فاروق يوسف
كاتب عراقي

قبل أن تلقي بعملتك المعدنية في حوض مياه فونتانا دي تريفي عليك أن تكون متاكدا من أمنيته. ينضح العارفون بأن تتواضع ولا تنقل على الكائنات الخفية المكلفة بتنفيذ الأمنيات. لذلك يفضل الكثيرون أن يتمنوا العودة إلى روما. وهل تلك أمنية متواضعة؟

غالبا ما يشعر المسافر في اللحظات الأخيرة أنه لم ير شيئا من المدينة. يلتفت إلى ماضيه البصري القريب فيراه فارغا. لقد أخذت المطاعم والمقاهي والحانات عن التثرد في شوارع مدينة، تمتلى منعطفات شوارعها بتفاصيل الحكايات التي ذهبت مسرعة إلى نهر التيبر لتختفي بين ثياب الجنات. تلك فكرة يمكن أن تأخذك إليها مقطوعة يعزفها على الكمنجة موسيقي أعمى أنيق. لقد كان عليك أن تقف أمامه مرتين في اليوم ما بين ساحتي فينيسيا

أشياء خفية كثيرة تأسرك عاطفيا وتجعلك لا تنسى. هذه مدن بُنيت لكي تكون مؤهلة لاستقبال كل العصور ولاحتضان البشر من كل جهات الأرض. إنها عواصم لإمبراطوريات حاملة



● فلورنسا التي انبعت فيها عصر النهضة الأوروبي لم تكن إلا وعدا بولادة العصر الحديث.